هَل كَانَ ابنُ تَيمِيَّةَ يَنطَوي عَلَى فِكرِ الخُرُوجِ عَلَى السُّلطَانِ ؟

بَحثٌ مُستَلٌّ مِن كتَاب:

«العُدَّةُ في تَحقِيقِ مَا وُصِفَ بِهِ ابنُ تَيمِيَّةَ عِندَ المُنَاظَرَةِ مِن الحِدَّةِ»

كَتَبَهُ
الفَقِيرُ إِلَى سِترِ رَبِّهِ الخَفِيِّ
أَبُو العَبَّاسِ الشِّحري

النَّمُوذَجُ الثَّامِنُ عَشَرَ:

[حِدَّتُهُ فِي رَدِّ وِشَايَةِ سَعيِهِ للمُلكِ؛ مَا كَانَ لَـهَا أَثَرٌ عَظيمٌ عِندَ السُّلطَانِ النَّاصِرِ]

قَالَ تِلمِيذُهُ العَلَّامَةُ سِرَاجُ الدِّينِ أَبُو حَفصٍ عُمَرُ بـنُ عَـلِيٍّ البَـزَّارُ (ت٧٤٩) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

«وأَخـبَرَنِي مَـن لَا أَتَّهِمُـهُ أَنَّ الشَّـيخَ - رَضِيَ اللهُ عَنـهُ - حِـينَ وُشِـيَ بِـهِ إلَى السُّلطَانِ المُعَظَّمِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ[1] أَحضَـرَهُ بَينَ يَدَيـهِ، قَـالَ: فَكَـانَ مِـن جُملَـةِ كَلَامِهِ: "إِنَّنِي أُخبِرتُ أَنَّكَ قَد أَطَاعَكَ النَّاسُ، وأَنَّ فِي نَفسِكَ أَخـذَ المُلـكِ!"؛ فَلَـم يَكتَرِث بِهِ، بَل قَالَ لَهُ بِنَفسٍ مُطمَئِنَّةٍ، وقَلبٍ ثَابـتٍ، وصَـوتٍ عَـالٍ، سَـمِعَهُ كَثِـيرٌ مِـمَّـن حَضَـرَ:

"أَنَا أَفعَلُ ذَلِكَ!! واللهِ إِنَّ مُلكَكَ، ومُلكَ المُغلِ لَا يُسَاوِي عِندِي فِلسَينِ!!".

فَتَبَسَّمَ السُّلطَانُ لذَلكَ، وأَجَابَهُ فِي مُقَابلَتِهِ بِمَا أَوقَعَ اللهُ لَهُ فِي قَلبِـهِ مِـن الهَيبَـةِ العَظِيمَةِ: "إِنَّكَ واللهِ لَصَادِقٌ!، وإِنَّ الَّذِي وَشَى بكَ إِلَيَّ كَاذِبٌ".

---

(١) هُوَ: سُلطَانُ المَمـالِيكِ الأَعظَمِ المَلكُ النَّـاصِرُ مُحَمَّـدُ ابـنُ السُّـلطَانِ قَـلَاوونَ بـنِ عَبدِ اللهِ الصَّالِحِيُّ (ت٧٤١)، قَالَ الصَّفَديُّ: «كَانَ مَلِكًا عَظِيمًـا، دَانَـت لَـهُ العِبَـادُ، ومُلُـوكُ الأَطرَافِ بِالطَّاعَةِ»، وقَالَ ابنُ حَجرٍ: «وكَانَ مُطَاعًا، مَهيباً، عَارِفًا بالأُمُورِ، يُعَظِّمُ أَهلَ العِلـمِ، والمَنَاصِبِ الشَّرعِيَّةِ، لا يُقرِّرُ فِيهَا إِلَّا مَن يَكُونُ أَهـلًا لَــهَا، ويتَحَـرَّى لـذَلكَ، ويَبحَـثُ عَنـهُ، ويبَالِغُ، وأَسقطَ مِن مَملَكَتِهِ "مَكسَ الأَقوَاتِ"» انتَهَى.

انظُر: «الـوَافِي بالوفَيَـات» (٤/ ٢٥١)، و«البدَايَـةَ والنِّهَايَـة» (١٤/ ٢٢٢)، و«الـدُّرَرَ الكَامنَة» (٥/ رقَم١٧٣١).

واستَقَرَّ لَهُ في قَلبِهِ مِن **"المَحَبَّةِ الدِّينِيَّة"** مَا لَولَاهُ لَكَانَ قَد فتَكَ بِهِ مُنذُ دَهرٍ طَويل مِن كَثرَةِ مَا يُلقَى إِلَيهِ في حَقِّهِ مِن الأَقَاويلِ الزُّورِ، والبُهتَانِ مِمَّن ظَاهرُ حَالِهِ للطَّغَامِ العَدَالَةُ، وبَاطنُهُ مَشحُونٌ بِالفِسقِ، والجَهَالَةِ» انتَهَى[1] .

❑ ❑ ❑

قُلتُ: مَعلُومٌ أنَّ الغَضَبَ في دَفعِ الإنسَانِ الزُّورَ، والبُهتَانَ عَنهُ مَحمُودٌ، وهُوَ مِمَّا يَدُلُّ علَى صِدقِ المتكَلِّم؛ لأَنَّهُ يَأتي عَفوِيًّا لِهَولِ مَا يَسمَعُ !، وصَاحِبُ سَرِيرَةِ السُّوءِ في مِثلِ هذَا المَوقِفِ يتَلَجلَجُ .

ولِهَذَا حَمِدَ السُّلطَانُ مِنهُ هَذَا الغَضَبَ، وزَادَ بِهِ عِندَهُ مَحَبَّةً، وقُربًا، وثِقَةً، وصَرَّحَ لَهُ أَنَّهُ صَادِقٌ؛ وحَلَفَ عَلَى ذَلكَ؛ فَقَالَ: "إِنَّكَ واللهِ لَصَادِقٌ !، وإِنَّ الَّذِي وَشَى بكَ إِلَيَّ كَاذِبٌ"؛ فتَدَبَّر .

❑ ❑ ❑

وكَانَ مَن أَشَاعَ هَذِهِ التُّهمَةَ، وأَوقَدَ نَارَهَا، ونَفَخَ فيهَا، وأَعلَا أُوَارَهَا؛ هُم : حَاسِدُوهُ مِن غُلاةِ الصُّوفيَّةِ، وغُلاةِ الأَشعَرِيَّةِ، وقَد أَبَانَ ذَلكَ بجَلاءٍ :

العَلَّامَةُ المُؤَرِّخُ أَحمَدُ بنُ يَحيَى بنِ فَضلِ اللهِ العُمَريُّ الدِّمَشقيُّ الشَّافِعيُّ (ت٧٤٩)، ونَقَلَهُ عَنهُ **العَلَّامَةُ المُؤَرِّخُ تَقيُّ الدِّينِ المِقريزيُّ** (ت٨٤٥) في "تَاريخِهِ الكَبير" - رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالى-؛ فَقَالَ - بَعدَ ذِكرِهِ مُنَاصَحَةَ ابنِ تَيميَّةَ للمَنبَجيِّ، ومُكَاتَبَتَهُ لَهُ في شَأنِ الغُلُوِّ في ابنِ عَرَبيٍّ- :

«فَقَامَ نَصرٌ المَنبجيُّ بالقَاهرَة، وقَالَ لقَاضي القُضَاةِ زَينِ الدِّين ابنِ مَخلُوفٍ المَالكيِّ: **"قُل للأُمَرَاءِ بِأَنَّ ابنَ تَيميَّةَ يُخشَى عَلَى الدَّولَةِ مِنهُ، كَمَا جَرَى لابنِ تُومَرت في بِلادِ المَغرِبِ !!"** !! .

---

(١) انظُر: «الأَعلَامَ العَليَّة في مَناقب ابن تَيميَّة» (ص٧١-٧٣) .

فَحَدَّثَهم؛ حَتَّى تَخيَّلُوا مِنهُ ! .

ثُمَّ أَرسَلُوا كِتَابًا إلى دِمَشقَ بإِحضَارِهِ؛ فَمَانَعَ الأَفرَمُ نَائبُ دِمَشقَ .

وقَالَ: «**قَد عُقِدَ لَهُ مَجلسَانِ بحَضرَتي، وحَضرَةِ الفُقَهَاءِ، ومَا ظَهَرَ عَليهِ شَيءٌ !**» .

فَقَالَ الرَّسُولُ: «**أَنا لكَ نَاصحٌ !، وقَد قَالَ عَنهُ الشَّيخُ نَصرٌ المَنبجيُّ: «إِنَّهُ يجمَعُ النَّاسَ عَلَيكَ، ويَعقدُ البَيعَةَ لغَيرِ السُّلطَانِ !**» .

فَخَافَ النَائبُ، وبَكَى مِنهُ» انتَهَى بتَصَرُّفٍ يَسيرٍ[1] .

❑ ❑ ❑

وإِذَا فَهِمتَ هَذَا :

فقَضِيَّةُ اتِّهَام ابنِ تَيمِيَّةَ بالسَّعي لنَيل السُّلطَةِ، والمُلكِ كَانَت سَبَبًا في المُبَالَغَةِ في ظُلمِ ابنِ تَيميَّةَ، ومُعَامَلتِهِ بمَا لا يَستَحِقُّ، واستطَالَةِ حَاسدِيهِ عَلَيهِ .

وكَانَ الَّذي أَشَاعَهَا مِن حَاسدِيهِ، وحَاقديهِ مَقصُودُهُ ثَلاثَةُ أُمُورٍ، ومَقَاصدَ :

المَقصَدُ الأَوَّلُ:

إِخَافَةُ كُلِّ مَن يَقُومُ مَعَ ابنِ تَيميَّةَ، أَو يَقِفُ مَعَهُ، أَو يَرُدُّ حُكمَ القُضَاةِ فِيهِ، أَو ينَازعُهُم في مَا يَصنَعُونَهُ بِهِ مِن العُقُوبَاتِ :

بأَنَّهُ سَيُلحَقُ بابن تَيميَّةَ في تُهمَةِ "طَلَبِ المُلكِ" !؛ وهَذهِ التُّهمَةُ عِقَابهَا المَوتُ العَاجِلُ ! .

❑ ❑ ❑

---

(١) مِن «مَسَالكِ الأَبصَار في ممَالك الأَمصَار» (٥/ ٧٠٠-٧٠١)، و«المُقَفَّى الكَبير» (١/ ٤٦١-٤٦٢)، وانظُر: «العُقُودَ الدُّريَّةَ» (ص٢٢٥-٢٢٦) .

والمَقصَدُ الثَّاني:

استِمَـالَةُ السُّلطَانِ، ورجَالِ الدَّولَةِ ضِدَّ ابنِ تَيميَّةَ !، وإلبَاسُ مَن يُخَاصِمُ ابـنَ تَيميَّةَ ثَوبَ المُدَافعَةِ عَن السُّلطَانِ، والمُحَافَظَةِ عَلَى الدَّولَةِ مِن غَائلَةِ الخَـائنِينَ، وعَـلى رَأسِهم: ابنُ تَيميَّةَ، الَّـذي لَـهُ تَوَاصُـلٌ بالأَعـدَاءِ التَّتَـار، لإسـقَاطِ الدَّولَـةِ، وقَتـلِ السُّلطَانِ، ورِجَالِ الدَّولَةِ؛ لأَجل مَا وَعَدُوهُ بِهِ، وأَصحَابَهُ مِن "المُلكِ" !! .

فكَانَ هذَا الإرجَافُ سَبَبًا؛ لِقِلَّةِ نَـاصِري ابـن تَيميَّـةَ مِـن الـوُلاةِ، والأُمَـرَاءِ، وغَيرِهِم، وخَوفِ كَثيرٍ مِنهُم مِن نُصرَتِهِ .

وكَانَ سَببًا - أَيضًا- في ضَـعفِ غَـير وَاحِـدٍ مِـن القُضَـاةِ عَـن رَدِّ الأَحكَـامِ الظَّالِـمَـةِ الصَّادرَةِ مِن ابنِ مَخلُوفٍ، وزُمرَتِهِ في حَقِّ ابنِ تَيميَّةَ .

❑ ❑ ❑

المَقصَدُ الثَّالثُ:

السَّعيُ في سَفكِ دَمِ ابنِ تَيميَّةَ بأَيِّ عُذرٍ؛ طَالَـمَـا وتُهمَـةُ "سَـعيهِ للمُلـكِ"، وإسقَاطِ الدَّولَةِ، تَدُورُ كالمَبخَرَةِ في مَجَالِسِ السُّلطَانِ، ونُوَّابِهِ، ورِجَالِ الدَّولَةِ ! .

❑ ❑ ❑

قَالَ شَيخُ الإسلامِ - رَحِـمَـهُ اللهُ تَعَالى- شَارحًا هذَا في كَلامِهِ مَـعَ القَـاضي شَمس الدِّينِ السَّرُوجيِّ، وقَد نَزَّهَهُ عَن الدُّخُولِ في أَحكَام ابن مَخلُوفٍ الجَائرَةِ، ثُمَّ قَالَ :

«وقُلتُ لَهُ: أَنتُم مَا كَانَ مَقصُودُكُم الحُكمَ الشَّرعِيَّ؛ وإِنَّمَـا كَانَ مَقصُـودُكُم دَفعَ مَا سَمِعتُمُوهُ مِن "تُهمَةِ المُلكِ" ! .

ولَـمَّـا عَلِمَت الحُكَّـامُ أَنَّ فِي القَضِيَّةِ "أَمرَ المُلكِ" أَحجَمُـوا !، وخَـافُوا مِـن الكَلَام !؛ خَوفًا يَعذُرُهُم اللهُ فِيهِ، أَو لا يَعذُرُهُم ![1] .

لَكِن لَولَا هَذَا لَتَكَلَّمُوا بِأَشيَاءَ، ولَو كَانَ هَـذَا الحُكـمُ شَـاذًّا، أَو فِيـهِ غَـرَضٌ لِذِي سَيفٍ؛ لَكَانَ عَجَائِبَ .

فَقَالُوا: يَا مَولَانَا مَن يَتَكَلَّمُ فِي "أَمرِ المُلكِ"، نَحنُ مَا نَتَكَلَّمُ، دَعنَا مِن الكَـلَامِ فِي المَلِكِ ! .

فَقُلتُ: أَيُّهَا النَّائِمُ أُخَلِّيكُم مِن المُلكِ ؟!، وهَـذِهِ الفِتنَـةُ الَّتـي قَـد مَلَأْتُـم بِهَـا الدُّنيَا؛ هَل أَثَارَهَا إِلَّا ذَلكَ ؟! .

ونَحنُ قَد سَمِعنَا هَذَا بِدِمَشقَ؛ لَكِن مَا اعتَقَدنَا أَنَّ عَاقِلًا يُصَدِّقُ بِذَلكَ .

---

(١) اللهُ أَكبَرُ؛ وهَذِهِ العِبَارَةُ مِن شَيخِ الإِسلامِ مَفَادُهَا أَنَّ عَددًا مِن القُضَاةِ خَـافُوا مِـن قَولِ "كَلِمَةِ الحَقِّ فِي مُسلمٍ يُسعَى إِلى دَمِهِ"؛ لـخَـوفِهِم عَلَى أَنفُسِهِم؛ لا سِيَّمَـا وقَد رَأَوا مَـا جَرَى لِقَاضِي القُضَاة الحَنَفِيَّةِ بِدِمَشقَ شَمسِ الدِّين مُحَمَّدِ ابنِ الحَريـريِّ الحَنَفـيِّ (ت٧٢٨)؛ لَـمَّـا أَنصَفَ ابنَ تَيميَّةَ فيمَـا يُدَّعَى عَلَيهِ، وكَتَبَ مَحضرًا أَثبتَ فِيهِ مَا هُـوَ عَلَيـهِ مِـن الخَـيرِ، وكَتَبَ فِي أَعلَاهُ بِخَطِّهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ سَطرًا يَقُولُ فِي جُملَتِهَا: «إِنَّهُ مُنذُ ثَـلَاثِ مِئَـةِ سَـنَةٍ مَـا رَأَى النَّاسُ مِثلَهُ»!، قَالَ المُؤَرِّخُ شِهَابُ الـدِّينِ النُّـوَيريُّ (٧٣٣): «وأَرَانِي قَـاضِي القُضَـاة زَيـنُ الدِّين المَالكيُّ هذَا المَحضَـرَ، وغَضِبَ مِنهُ !، وسَعَى فِي عَزلِ قَاضِـي القُضَاةِ الحَنَفيَّةِ بِدِمَشقَ شَـمسُ الـدِّين ابـنُ الحَريـريِّ؛ فعُـزِلَ !!» انتَهـى مِـن «نِهَايَـةِ الأَرَب فِي فُنُـون الأَدَب» (٣٢/ ١١٧) .

فَخَوفُ هَؤُلاءِ القُضَاةِ كَانَ لشَيءٍ يَعلَمُونَهُ مِن عُقُوبَةِ كُلِّ مَن يُـدَافِعُ عَـن ابـنِ تَيميَّـةَ، وابنُ الحَريريِّ، وغَيرُهُ مِثَالٌ ظَاهِرٌ للعِيَانِ؛ فَهَل كَانَ خَوفُهُم مِـمَّـا يُعذَرُونَ بِهِ عِندَ رَبِّهِـم إِذَا لَقُوهُ ؟؛ نَسأَلُ اللهَ أَن يَغفِرَ للجَمِيعِ، ويُدخِلَهُم فِي وَاسِعِ رَحـمَـتِـهِ، وإِحسَانِهِ .

وهؤُلَاءِ القَومُ بَعدَ أَن خَرَجَ مِن أَنفُسِهِم تُهمَةُ المُلكِ إذَا ذُكِرَ لَـهُم بَعضُ مَا يَقُولُهُ المُنَازِعُونَ لِي يَستَعظِمُونَهُ جِدًّا، ويَرَونَ مُقَابَلَةَ قَائِلِهَا بِأَعظَمِ العُقُوبَةِ.

فَإِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ يَقُولُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح]» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

وقَالَ - أَيضًا -:

«ولَكن أَنتُم مَا كَانَ مَقصُودُكُم إلَّا دَفعَ "أَمرِ المُلكِ"، لِمَا بَلَغَكُم مِن الأَكَاذِيبِ.

فَقَالَ يَا مَولَانَا: دَع "أَمرَ المُلكِ"، أَحَدٌ مَا يَتَكَلَّمُ فِي المُلكِ.

فَقُلتُ: إِيهْ السَّاعَةَ مَا بَقِيَ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ فِي المُلكِ؟.

وهَل قَامَت هَذِهِ الفِتنَةُ إلَّا لأَجلِ ذَلِكَ؟[2].

ونَحنُ سَمِعنَا - بِهَذَا - ونَحنُ بِالشَّامِ أَنَّ المُثِيرَ لَـهَا "تُهمَةُ المُلكِ"؛ لَكِن مَا اعتَقَدنَا أَنَّ أَحَدًا يُصَدِّقُ هَذَا.

وذَكَرتُ لَهُ أَنَّ هَذِهِ القِصَّةَ لَيسَ ضَرَرُهَا عَلَيَّ؛ فَإِنِّي أَنَا مِن أَيِّ شَيءٍ أَخَافُ؟.

إن قُتِلتُ كُنتُ مِن أَفضَلِ الشُّهَدَاءِ، وكَانَ ذَلكَ سَعَادَةً فِي حَقِّي: يُتَرَضَّى بِهَا عَلَيَّ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، ويُلعَنُ السَّاعِي فِي ذَلِكَ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ.

فَإِنَّ جَمِيعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، وعَلَى آلِهِ، وسَلَّمَ - يَعلَمُونَ أَنِّي أُقتَلُ

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٢) تَأَمَّل هَذَا.

عَلَى الحَقِّ، الَّذي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ[1] .

وإن حُبِستُ فَوَاللهِ إنَّ حَبسي لَـمِـن أَعظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ ! .

ولَيسَ لِي مَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيهِ: لا مَدرَسَةَ !، ولا إقطَـاعَ !، ولا مَـالَ !، ولا رِئَاسَةَ !، ولا شَيئًا مِن الأَشياءِ .

ولَكنَّ هَذِهِ القِصَّةَ ضَرَرُهَا يَعُودُ عَلَيكُم: فَإِنَّ الَّذينَ سَعَوا فِيهَا مِن الشَّـامِ أَنَـا أَعلَمُ أَنَّ قَصدَهُم فِيهَا كَيدُكُم، و"فَسَادُ مِلَّتِكُم"، و"دَولَتِكُم"[2] .

---

(١) ومِصدَاقُ هَذَا مَا تَرَاهُ مِن مَوقِفِ سَائرِ أَهلِ الشَّامِ مِن العُلَمَـاءِ، والعَامَّةِ مِن طَلَب ابنِ تَيميَّةَ إلى مِصرَ، ثُمَّ حَبسِهِ بَعدَ ذَلكَ، ومَا تَراهُ - أَيضًا- مِن مَوقفِ أَهلِ بَغدَادَ مِن حَبسِ هَذَا الإِمَامِ، ومِن مُرَاسَلَةِ جَمَاعَةٍ مِن أَعيَانِ العُلَمَـاءِ السُّـلطَانَ في التِمَـاسِ الـمَـرحَـمَـةِ لـهَذَا العَالِـمِ، الَّذي لا نَظيرَ لَهُ في زَمَانه، ومَا تَرَاهُ كَذَلكَ مِن أَثَـرِ مَوتِـهِ في النَّـاسِ في دِيَـارِ الإِسلامِ؛ حَتَّى قِيلَ: «لَـم يَتَخَلَّف عَن جَنَازَتَهُ إلَّا أَربَعَةُ أَنفُسٍ مَنَعَهُم خَوفُهُم مِن العَامَّةِ أَن يَقتُلُوهُم؛ فَـاختَبَؤا !!»، وكَانَـت عَامَّـةُ المِسـلمينَ في أَقطَـارِ الإِسـلامِ تُعَظِّمُـهُ، وتُرَاسِـلُهُ، وتَستَفتيهِ، وهَذَا كُلُّهُ مِصدَاقٌ لِـمَـا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى لَهُ مِن المَحَبَّةِ، والقَبُولِ .

قَالَ الحَافظُ الذَّهبيُّ: «لَهُ مِن الطَّرَفِ الآخَرِ مُحِبُّـونَ مِـن العُلَمَــاءِ، والصُّـلحَاءِ، ومِـن الجُندِ، والأُمَرَاءِ، ومِن التُّجَارِ، والكُبَرَاءِ، وسَائرُ العَامَّةِ تُحِبُّهُ !» انتَهى .

وقَالَ الحَافظُ ابنُ كَثيرٍ: «استَقَرَّ عِندَ عَامَّـةِ المُـؤمِنِينَ، وخَوَاصِّـهِم مِـن أَمِـيرٍ، وقَـاضٍ، وفَقِيهٍ، ومُفتٍ، وشَيخٍ، وجَـمَـاعَةِ المُجتَهِدِينَ - إلَّا مَن شَذَّ مِنَ الأَغمَارِ الجُهَّالِ، مع الذِّلَّـةِ، والصَّـغَارِ- مَـحَـبَّــةُ الشَّـيخِ، وتَـعـظِـيمُـهُ، وقَـبُــولُ كَـلَامِـهِ، والرُّجُــوعُ إِلَى أَمـرِهِ، ونَـهـيِهِ» انتَهَى مِن «البِدَايَةِ والنِّهَايَةِ» (١٤/ ٥٦) .

وانظُر: «تَرجَمَةَ شَيخِ الإِسـلامِ ابـنِ تَيميَّـةَ للـذَّهَبيِّ» (ص٨٠/ ت د خَالِـدِ الرَّبعـيِّ)، و«العُقُودَ الدُّريَّةَ» (ص ١٣٤ و٣٥٨-٣٧٦) ، و«ذَيلَ طَبَقَات الحَنَابلَة» (٤/ ٥٠٦) .

(٢) تَأَمَّل هَذَا .

وقَد ذَهَبَ بَعضُهُم إلَى بِلَادِ التَّتَر، وبَعضُهُم مُقِيمٌ هُنَاكَ .

فَهُم الَّذِينَ قَصَدُوا "فَسَادَ دِينِكُم"، و"دُنيَاكُم"[1]، وجَعَلُوني إمَامًا بِالتَّسَتُّرِ؛ لِعِلمِهِم بِأَنِّي أُوَالِيكُم، وأَنصَحُ لَكُم، وأُرِيدُ لَكُم خَيرَ الدُّنيَا، والآخِرَةِ .

والقَضِيَّةُ لَهَا أَسرَارٌ !؛ كُلَّمَا جَاءَت تَنكَشِفُ[2] .

---

(١) لأَنَّهُم يُوَالُونَ التَّتَارَ، كَمَا سَبَقَ - قَريبًا-، ومَصَالحُهُم في دِينهم، ودُنيَاهُم مَعَ التَّتَار أَكثَرُ، وأَعظَمُ؛ لتَعظيمِ التَّتَار لَهُم؛ لغَلَبَةِ جَهلِهِم؛ حَتَّى قَالَ شَيخُ الرِّفَاعيَّةِ في المُنَاظَرَة المَشهُورَة: «نَحنُ أَحوَالُنَا إنَّمَا تَنفُقُ عِندَ التَّتَرِ، لَيسَت تَنفُقُ عِندَ الشَّرعِ !!»، وسَبَقَ - أَيضًا- أَنَّ زُمَرًا مِنهُم كَانُوا (خُفَرَاءَ للتَّتَار)، وهُم الَّذينَ ثَبَّطُوا الجُندَ عَن جِهَاد التَّتَار؛ حَتَّى كَادَ الدِّينُ أَن يَذهَبَ !؛ فـ(تَظَاهُرُ) هَؤُلاءِ بمُوَالاةِ السُّلطَانِ، والدَّولَةِ كُلُّهُ كَذبٌ، ونِفَاقٌ، ومَحَبَّتُهُم للتَّتَار، ومُلُوكِهم أَعظَمُ، وأَكبَرُ، ومُوَالاتُهم لَهُم أَكثَرُ، وأَظهَرُ ! .

وقَد ظَهَرَ زَيفُ هَؤُلاءِ، وفُضِحُوا، وسُوِّدَت وُجُوهُهُم، وقُهِرُوا، والحَمدُ لله وَحدَهُ .

(٢) وهَذَا مِن عِلمِ شَيخِ الإسلام، ومَعرفَتِهِ بـ"سِيَاسَاتِ الأُمُور"، وهَكَذَا يَكُونُ العَالِمُ المُصلِحُ .

ومِن أَعظَمِ أَسرَارِهَا: أَنَّ "أَعدَاءَ الإسلَام" سَاعُونَ في إسقَاط "دُوَل السُّنَّة"، وإحلَال دَولَةِ التَّتَار مَحلَّهَا؛ فيَعلُو سُوقُ الرَّافضَة، والبَاطنيَّة، والحُلُوليَّة، والاتِّحَاديَّة، وتُغَيَّرُ مَعَالمُ دِين الإسلَام، وهَذَا لا يَكُونُ إلَّا بإسقَاط "أَنصَار الدُّوَلِ السُّنِّيَّة"، وحُمَاتِهَا مِن العُلَمَاءِ، وغَيرِهِم، وهَذَا كَيدٌ كُبَّارٌ !، وهُوَ "إسقَاطُ دَولَةٍ" بـ"اسم حِمَايَتِهَا مِن إسقَاطِهَا !"، وهَذَا لا يَفطِنُ لَهُ أَكثَرُ النَّاظِرِينَ في (ظَاهِرِ) أَسبَاب هَذِهِ الفِتنَةِ؛ وقَد أَشَارَ شَيخُ الإسلام ابنُ تَيميَّة إلى هَذَا؛ فقَالَ في رِسَالَةٍ لأَصحَابِهِ: «وأَنتُم فَأَبشِرُوا مِن أَنوَاعِ الخَيرِ، والسُّرُورِ بِمَا لَم يَخطُر في الصُّدُورِ، وشَأنُ هَذِهِ القَضِيَّةِ؛ ومَا يَتَعَلَّقُ بِهَا أَكبَرُ مِمَّا يَظُنُّهُ مَن لا يُرَاعِي إلَّا "جُزئِيَّاتِ الأُمُورِ"» انتَهَى [«مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢١٤)].

=

وإلَّا فَأَنَا لَـم يَكُن بَيني، وبَيْنَ أَحَدٍ بِمِصرَ عَدَاوَةٌ، ولا بُغـضٌ، ومَازِلـتُ مُحِبًّـا لَـهُم، مُوَالِيًا لَـهُم: أُمَرَائِهم، ومَشَايِخِهِم، وقُضَاتِهِم» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

وكَـرَّرَ هَذَا المَعنَى في مُحَاوَرَتِهِ لعَـلاءِ الـدِّينِ الطَّيـبَرسيِّ أَمـينِ رَسُـولِ نَائـبِ السُّلطَانِ؛ فقَالَ:

«ولِـهَـذَا كَانَ فِيمَـا خَاطَبَتُ بِـهِ أَمِـينَ الرَّسُـولِ عَـلَاءَ الـدِّينِ الطَّيـبرسيَّ أَن قُلتُ: هَذِهِ "**القَضِيَّةُ**" **لَيسَ الحَقُّ فِيهَا لِي، بَل لله، ولرَسُـولِه، وللمُـؤمِنِينَ مِـن شَرقِ الأَرضِ إلَى مَغرِبِهَا؛ وأَنَا لَا يُمكنُني أَن أُبَدِّلَ الدِّينَ، ولا أُنَكِّسَ رَايَةَ المُسلِمِينَ.**

ولا أَرتَدُّ عَن دِينِ الإِسلَامِ لأَجلِ فُلَانٍ، وفُلَانٍ.

نَعَم يُمكنُني أَن لَا أَنتَصِـرَ لِنَفسي، ولا أُجَازِيَ مَن أَسَـاءَ إِليَّ، وافـتَرَى عَـلَيَّ، ولا أَطْلُبُ حَظِّي، ولا أَقصِدُ إِيـذَاءَ أَحَـدٍ بِحَقِّـي، **وهَـذَا كُلُّـهُ مَبـذُولٌ مِنِّـي، ولله الحَمدُ، ونَفسي طَيِّبَةٌ بِذَلك**»[2].

وكُنتُ قَد قُلتُ لَهُ: الضَّرَرُ في هَذِهِ "القَضِيَّةِ" لَيسَ عَلَيَّ؛ بَل عَلَيكُم!.

فَإِنَّ الَّذِينَ أَثَارُوهَا مِن أَعداءِ الإِسلَامِ: الَّذِينَ يُبغِضُونَهُ، ويُبغِضُونَ أَولِيَـاءَهُ، والمُجَاهِدِينَ عَنهُ، ويَختَارُونَ انتِصَارَ أَعدَائِهِ مِن التَّتَارِ، ونَحوِهِم»[3].

= وقَد أَجَادَ في تَحرِير هَذَا المَوطنِ الدَّقيق – بمَـا قَد لا تَرَاهُ لغَيرِه–: الشَّيخُ البَحَّاثَـةُ المُحَقِّـقُ مَشهُورُ بنُ حَسَنٍ – جَزَاهُ اللهُ خَيرًا– في كتَابهِ النَّافع: «الأَغَاليطِ في المَرَاسم السُّلطَانيَّة الصَّادرَة في حَقِّ شَيخ الإِسلام ابن تَيميَّة» (٢/ ٩٤٣–٩٦٠).

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢٥٩–٢٦٠).

(٢) وهَذَا مِن أَكبَرِ مَنَاقب شَيخِ الإِسلام ابنِ تَيميَّة، وقَد سَبَقَ فَصلٌ في هَذَا.

(٣) تَأَمَّل هَذَا.

وهُم دَبَّرُوا عَلَيكُم حِيلَةً يُفسِدُونَ بِهَا "مِلَّتَكُم"، و"دَولَتَكُم"[1].

وقَد ذَهَبَ بَعضُهُم إِلَى بُلدَانِ التَّتَارِ، وبَعضُهُم مُقِيمٌ بِالشَّامِ، وغَيرِهِ؛ ولِهَذِهِ القَضِيَّةِ أَسرَارٌ، لا يُمكِنُنِي أَن أَذكُرَهَا، ولا أُسَمِّيَ مَن دَخَلَ فِي ذَلِكَ؛ حَتَّى تُشَاوِرُوا نَائِبَ السُّلطَانِ؛ فَإِن أَذِنَ فِي ذَلكَ ذَكَرتُ لَكَ ذَلكَ.

وإِلَّا فَلَا يُقَالُ ذَلِكَ لَهُ، ومَا أَقُولُهُ؛ فَاكشِفُوهُ أَنتُم!.

فَاستَعجَبَ مِن ذَلكَ، وقَالَ يَا مَولَانَا: أَلَا تُسَمِّي لِي أَنتَ أَحَدًا؟.

فَقُلتُ: وأَنَا لَا أَفعَلُ ذَلكَ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَصلُحُ.

لَكِن تَعرِفُونَ مِن حَيثُ الجُملَةِ أَنَّهُم قَصَدُوا "فَسَادَ دِينِكُم"، و"دُنيَاكُم".

وجَعَلُوني إِمَامًا تَستُّرًا؛ لِعِلمِهِم بِأَنِّي أُوَالِيكُم، وأَسعَى فِي صَلَاحِ دِينِكُم، ودُنيَاكُم، وسَوفَ - إِن شَاءَ اللهُ- يَنكَشِفُ الأَمرُ[2].

قُلتُ لَهُ: وإِلَّا فَأَنَا عَلَى أَيِّ شَيءٍ أَخَافُ؟!.

إِن قُتِلت كُنتُ مِن أَفضَلِ الشُّهَدَاءِ، وكَانَ عَلَيَّ الرَّحمَةُ، والرِّضوَانُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ، وكَانَ عَلَى مَن قَتَلَنِي اللَّعنَةُ الدَّائِمَةُ فِي الدُّنيَا، والعَذَابُ فِي الآخِرَةِ؛ لِيَعلَمَ[3] كُلُّ مَن يُؤمِنُ بِالله، ورَسُولِهِ أَنِّي إِن قُتِلتُ؛ [فَـ]لأَجلِ دِينِ الله، وإِن حُبِستُ فَالحَبسُ فِي حَقِّي مِن أَعظَمِ نِعَمِ الله عَلَيَّ.

ووالله مَا أُطِيقُ أَن أَشكُرَ نِعمَةَ الله عَلَيَّ فِي هَذَا الحَبسِ![4].

---

(١) تَأَمَّل هَذَا.

(٢) تَأَمَّل هَذَا.

(٣) كذَا فِي المَطبُوعِ؛ ولَعَلَّ الصَّوَابَ: [لِعِلمِ كُلِّ].

(٤) تَقَدَّمَ إِيضَاحُ هذهِ المَعَانِي العَظِيمَةِ عِندَ شَيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ فِي كِتَابِ "جِهَادُ شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهلِ المِلَلِ والنِّحَلِ والأَهوَاءِ والبِدَعِ" فِي الفَصلِ=

ولَيسَ لِي مَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيهِ لَا أَقطَاعِي !، ولا مَدرَستي !، ولا مَالِي !، ولا رِيَاسَتي !، وجَاهِي ! .

وإِنَّمَا الخَوفُ عَلَيكُم إِذَا ذَهَبَ مَا أَنتُم فِيهِ مِن "الرِّيَاسَةِ"، و"المَالِ"، و"فَسَدَ دِينُكُم" الَّذي تَنَالُونَ بِهِ "سَعَادَةَ الدُّنيَا"، و"الآخِرَةِ"، وهَذَا كَانَ مَقصُودُ العَدُوِّ، الَّذي أَثَارَ هَذِهِ الفِتنَةَ .

وقُلتُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بِمِصرَ مِن الأُمَرَاءِ، والقُضَاةِ، والمَشَايِخ: إِخوَاني، وأَصحَابي؛ أَنَا مَا أَسَأتُ إِلَى أَحَدٍ مِنهُم قَطُّ، ومَازِلتُ مُحسِنًا إِلَيهِم؛ فَأَيُّ شَيءٍ بَيني وبَينَهُم، ولَكِن لَبَّسَ عَلَيهِم المُنَافِقُونَ أَعدَاءُ الإِسلَام .

وأَنَا أَقُولُ لَكُم - لَكِن لَم يَتَّفِق أَنِّي قُلتُ هَذَا لَهُ - : إِنَّ فِي المُؤمِنِينَ مَن يَسمَعُ كَلَامَ المُنَافِقِينَ، ويُطِيعُهُم؛ وإِن لَم يَكُن مُنَافِقًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة/ ٤٧] .

وقُلتُ لَهُ: هَذِهِ القَضِيَّةُ أَكبَرُ مِمَّا فِي نُفُوسِكُم؛ فَإِنَّ طَائِفَةً مِن هَؤُلَاءِ الأَعدَاءِ ذَهَبُوا إِلَى بِلَادِ التَّتَر .

فَقَالَ: إِلَى بِلَادِ التَّتَر؟ .

فَقُلتُ: نَعَم .

= الخَامس، وعُنوَانه: "مَا كَانَ عَلَيهِ مِن طِيبِ العَيشِ، وبَحبُوحَةِ السَّعَادَةِ مَعَ مَا يَنَالُهُ مِن شِدَّةِ البَلَاءِ، والمِحَنِ، وأَنوَاعِ الأَذَى" .

هُم مِن أَحرَصِ النَّاسِ عَلَى تَحرِيكِ الشَّرِّ عَلَيكُم إِلَى أُمُورٍ أُخـرَى، لا يَصـلُحُ أَن أَذكُرَهَا لَكَ .. » انتَهى [1] .

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتَاوى» (٣/ ٢١٤-٢١٧) .

[قَـاصِـمَـةُ ظَـهـرِ الكَذِبِ]

قَالَ تِلمِيذُهُ العَلَّامَةُ سِرَاجُ الدِّينِ أَبُو حَفصٍ عُمَرُ بـنُ عَـلِيٍّ البَـزَّارُ (ت٧٤٩) - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- عَن لقَاءِ شَيخِ الإِسلامِ بالمَلِكِ غَازَانَ :

«**وسَأَلَهُ**[1] **إِن أَحبَبتَ أَن أَعمُرَ لَكَ بَلَدَ آبَائكَ حَـرَّانَ، وتَنتَقِـلَ إِلَيـهِ، ويَكُـونُ بِرَسمِكَ .**

فَقَالَ: لا والله، لا أَرغَبُ عَن مُهَـاجَرِ إِبـرَاهِيمَ - صَـلَّى اللهُ عَلَيـهِ، وسَـلَّمَ-، **استَبدِلُ بِهِ غَيرُهُ**» انتَهى[2] .

قُلتُ: هذَا مِن أَظهَرِ الدَّلائل عـلَى زَيـفِ تُهمَـةِ طَلَـب ابـنِ تَيميَّـةَ للرِّئاسَـةِ، والمُلكِ؛ فهَا هُوَ مَلِـكُ التَّتَـار غَـازَانَ - والتَّتَـارُ يَومَئـذٍ مِـن أَقـوَى دُوَلِ الـدُّنيَا-، وأَكبَرِهَا رُقعَةً، يَطلُبُ مِن ابن تَيميَّةَ أَن يَجعَلَـهُ وَاليًـا، ومَالِكًـا لأَرض حَـرَّانَ، وأَن يَعمُرَهَا لَهُ المَلِكُ غَازَان؛ حتَّى تَصِيرَ مِن أَعظَم البلَادِ، وأَمنَعِهَا ! .

فمَـا كَانَ مِن هَذَا العَالِـمِ الزَّاهِدِ فِي الدُّنيَا، الرَّاغِبِ فِيمَـا عِندَ الله فِي الآخِـرَةِ إِلَّا أَن آثَرَ بقَاءَهُ فَقِيرًا مُعدِمًا، يُطعِمُهُ إِخوَانُـهُ قُـوتَ يَومِـه بمَـا وُجِـدَ، مُقيمًـا فِي مُهَاجَرِ نَبيِّ الله إبرَاهِيمَ - عَلَيهِ السَّلَامُ-؛ فتَأَمَّـل هَـذِهِ "**الصُّـورَةَ الصَّـادقَةَ**" الَّتـي اقتَرَنَ فيهَا القَولُ بالعَمَلِ .

ولَو طَلَبَ ابنُ تَيميَّةَ "دِمَشقَ" ! لأَعطَاهَا لَهُ؛ ولَكنَّ هَـذَا العَالِـمَ قَـد رَغِـبَ فِيمَـا عِندَ الله تعَالى وَحدَهُ، وهُوَ يَنتَظِرُ لقَاءَهُ؛ ولِـهَـذا قَالَ رَافعًا صَـوتَهُ الجَهـوَريَّ

---

(١) أَي: غَازَان .

(٢) انظُر: «الأَعلَامَ العَليَّة فِي مَنَاقب ابن تَيميَّة» (ص٧١) .

بصَولَةِ الصِّدقِ، المُجَلجِلِ في القُلُوبِ للسُّلطَانِ النَّاصِـر، ومَلَئِهِ : **"أَنَا أَفعَلُ ذَلِكَ!! والله إِنَّ مُلكَكَ، ومُلكَ المُغلِ لا يُسَاوِي عِندِي فِلسَينِ !!"** .

اللهُ أَكبَرُ ! .

والصِّــدقُ يَــبرُزُ مِــن بَطــنِ الخَفَــا عَلَنًــا

والحَقُّ يَظهَرُ مِن (مَعنًـى) ومِـن (كَلِـم)

[قَـاصِـمَـةٌ ثَانيَةٌ]

وقَد سَبَقَ هَذَا في أَوَّل كتَابي **"جِـهَـادُ شَيخِ الإسلَام ابنِ تَـيمِـيَّةَ في الـرَّدِّ عَـلَى أَهل الـمِلَلِ والنِّحَلِ والأَهوَاءِ والبدَعِ"**، وأَعَدتُه هُنَا للمُنَاسَبَةِ :

قُلتُ :

واسـمَع إلى شَـيخِ الإسـلَام ابـنِ تَيمِيَّـةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَـالى- **وهُـوَ يَقُـولُ للمَدَّاحينَ لَهُ بَعدَ الانتِصَار علَى التَّتَار في مَوقِفٍ عَظِيمٍ مَهيبٍ مَهُولٍ**، يَزيـغُ قُلُـوبَ مَن يُرِيدُ العُلُوَّ في الأَرض، والمُلكَ، والوِلَايَةَ، والرِّئاسَةَ؛ فتَأَمَّل مَـا يَحكِيـهِ تِلمِيـذُهُ ابنُ عَبدِ الهَادي عَنهُ؛ فيَقُولُ :

«ودَخَلَ جَيشُ الإسلَام المَنصُورُ إلَى دِمَشقَ المَحرُوسَةِ، **والشَّيخُ في أَصـحَابِهِ شَاكيًا في سِلَاحِهِ، دَاخِلًا مَعَهم، عَاليَـةً كَلِمَتُـهُ، قَائِمَـةً حُجَّتُـهُ، ظَـاهِرَةً وِلَايَتُـهُ، مَقبُولَةً شَفَاعَتُهُ، مُجَابَةً دَعوتُـهُ، مُلتَمَسَـةً بَرَكَتُـهُ، مُكَرَّمًـا، مُعَظَّمًـا، ذَا سُـلطَانٍ، وكَلمَةٍ نَافِذَةٍ، وهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَقُولُ للمَدَّاحِينَ لَهُ :**

"أَنَا رَجُلُ مِلَّةٍ، لَا رَجُلُ دَولَةٍ"» انتَهَى [(١)] .

نَعَم واللهِ هُـوَ **"رَجُـلُ مِلَّـةٍ"**، دَاعٍ إلى اللهِ تَعَـالى، نَـاصِرٌ لكِتَـابِ اللهِ، وسُـنَّةِ رَسُولِهِ، والأَمرِ الأَوَّلِ، والدِّينِ العَتِيقِ، لا سَاعٍ في مُلـكٍ، ولا وِلايَـةٍ، ولا دَولَـةٍ - نَحسبِهِ كَذَلكَ، واللهُ حَسيبُهُ، ولا نُزَكِّي علَى اللهِ أَحَدًا- .

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «العُقُودَ الدُّرِّية» (ص١٩٣) .

[قَـاصِـمَـةٌ ثَالِثَةٌ]

كَانَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ - رَحِـمَهُ اللهُ تَعَالى- مُعَظِّمًـا السُّلطَانَ النَّـاصرَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-، ودَولَتَهُ، عَظِيمَ الثَّنَاءِ عَلَيهِ، كَثيرَ الدُّعَاء لَهُ كُلَّمَـا ذَكَرَهُ، وكَاتَبَهُ.

ومِن ذَلكَ قَولُهُ عَنهُ: «.. **[وَلِيُّ الأَمر] السُّلطَانُ الَّذِي مَا رُئِيَ فِي هَذِهِ الأَزمَـانِ سُلطَانٌ مِثلُهُ زَادَهُ اللهُ عِلمًـا، وتَسدِيدًا، وتَأيِيدًا**» انتَهَى [(١)].

هَكَذَا يُعَظِّمُ شَيخُ الإِسلَامِ المَلكَ النَّاصرَ، ويَعلَمُ مَـا هُـوَ عَلَيـهِ مِـن نُصـرَةٍ للإِسلامِ، وخَيرٍ كَثيرٍ؛ ولـهَذَا فَهُو يُعَظِّمُهُ، ويَدعُو لَه .

أَفَتَظُنُّ أَنَّ مَن يَكتُبُ هَذِهِ الكَلمَـاتِ **"يُبيِّتُ فِي السِّـرِّ للانقِلابِ!"** عَـلَى هَـذَا الوَالِي، وإِسقَاطِ دَولَتِهِ ؟! .

❑ ❑ ❑

ومِن اللَّطِيفِ الدَّقيقِ جِدًّا، الدَّالِّ عَلَى صِدقِ مَوقِفِ شَيخُ الإِسلَامِ مِن المَلـكِ النَّاصرِ :

أَنَّهُ قُبيلَ وفَاتِهِ بيَسِيرٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ بِهِ، مَسجُونًا فِي قَلعَةِ دِمَشقَ **سَامَحَ المَلكَ النَّاصرَ عَلَى سَجنِهِ ظُلمًـا !، بَل واعتَذَرَ لَهُ عَن سَجنِهِ !!**؛ فَاسمَع بأُذُنَي قَلبكِ مَا يَقُولُ - وهُوَ مُشرفٌ عَلَى المَوتِ- :

قَالَ: **"إِنِّي قَد أَحلَلتُ السُّلطَانَ المَلِكَ النَّاصِرَ مِن حَبسِهِ إِيَّايَ !؛ لكَونِهِ فَعَـلَ ذَلكَ مُقَلِّدًا غَيرَهُ مَعذُورًا !، ولَـم يَفعَلهُ لِـحَظِّ نَفسِهِ !، بَل لِـمَـا بلَغَـهُ مِـمَّـا ظَنَّـهُ حَقًّا مِن مُبَلِّغِهِ !، واللهُ يَعلَمُ أَنَّهُ بِخِلَافِهِ .**

---

(١) انظُر: «مَجمُوعَ الفَتاوى» (٢٧/ ٣١٤و٣١٥) .

وقَد أَحلَلتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّا كَانَ بَيني وبَينَهُ إِلَّا مَن كَانَ عَدُوًّا لله، ورَسُولِهِ"» انتَهى[1].

❑ ❑ ❑

غَفَرَ اللهُ لابنِ تَيميَّةَ صَاحبِ هَذِهِ النَّفسِ الزَّكِيَّةِ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله.

إِذَا اشتَبَكَت دُمُوعٌ في خُدُودٍ
تَبَيَّنَ مَن (بَكَى) مِمَّن (تَبَاكَى)!

❑ ❑ ❑

وإِذَا كَانَتِ "النُّفُوسُ" كِبَارًا
تَعِبَت في مُرَادِهَا الأَجسَامُ

❑ ❑ ❑

---

(١) انظُر: «الأَعلَامَ العَلِيَّة في مَناقب ابن تَيميَّة» (ص٨١-٨٢).

[قَـاصِـمَـةٌ رَابعَةٌ]

فِتنَةُ "السَّعي للمُلكِ" إذَا أُشرِبَهَا القَلبُ، ظَهَرَت - ولا بُدَّ- في "كَلامِ المَفتُون بِهَـا"، وفي "تَقريرَاتِـهِ"، و"دَعوَتِـهِ"، و"خَاصَّـةِ طُلَّابِـهِ"، و"أَصـحَابِهِ"، و"مَجَالِسِـهِ الخَاصَّةِ".

فتَرَى "صُدُورَ أَخدَانِهِ" مَشحُونَةً ضِدَّ "وَلِيِّ الأَمر المُسلِمِ"، وتَرَاهُم مَشغُولِينَ بنَقدِهِ، وذِكرِ أَخطَائِهِ، لا يَكَادُونَ يَذكُرُونَ لَهُ إِحسَانًا !، ويُهَوِّنُونَ مِن شَأن الخُـرُوجِ عَلَيهِ، ويَعتَذِرُونَ للخَارِجِينَ عَلَيهِ بأَنوَاعِ الأَعذَارِ، بَل قَد يَجعَلُـونَ هَـذَا الـوَالِي هُـوَ السَّبَبَ الرَّئِيسَ في خُرُوجِ هَؤُلاءِ !؛ لذُنُوبِهِ الَّتي نَشَرَهَا، وتَضييقِهِ عَلَيهِم .

وحَالُ ابنِ تَيمِيَّةَ في دَعوَتِهِ "العَامَّة"، و"الخَاصَّـةِ"، يَـنقُضُ هَـذِهِ "الأُكذُوبَـةَ البَرَّاءَ"؛ فَهُوَ الَّذي يَأمُرُ بعَدَمِ الخُرُوجِ عَلَى الأُمَراءِ، ووُلاةِ الأَمرِ في زَمَنِهِ .

ويَدعُو (جِهَارًا) إِلَى "طَـاعَتِهِم في المَعـرُوفِ"، ويَنشُـرُ أَنَّ "الخُـرُوجَ عَلَـيهِم مُحَرَّمٌ باتِّفَاقِ الأَئمَّةِ"، وأَنَّهُ "مَفسَدَةٌ مَحضَةٌ"، لا "مَصلَحَةَ فِيهِ البَتَّةَ" !؛ مُذ ظَهَرَت في الأُمَّةِ "فِتنَةُ الخُرُوجِ عَلَى السُّلطَانِ المُسلِمِ"، سَوَاءً كَانَ بـ"السِّـلَاحِ"، أَو "الكَـلامِ"، فَضلًا عَن "التَّحرِيضِ"، و"تَزيينِ الخُرُوجِ عَلَى وُلاةِ الأُمُورِ"، و"تَعظِيمِ أَخطَائِهِم"، و"كَتمِ مَحَاسِنِهِم" ![1] .

ولِـهَذَا لا تَرَى في طُلَّابِهِ، وأَتبَاعِـهِ، ومُحِبِّـيهِ فِكـرَ "مُنَازَعَـةِ السَّـلاطِينِ"، وإِن كَانُوا ظَلَمَةً جَائِرِينَ، بَل وإِن "سَجَنُوهُم" !، وآذَوهُم، وعَذَّبُوهُم !! .

---

(١) وقَد بَيَّنتُ هَذَا بجَلاءٍ في كِتَاب: «وُجُوبُ المُحَافَظَةِ عَلَى الدُّوَل المُسلمَة، ووجُوبُ طَاعَة وُلاة الأَمـر في المَعـرُوف، ومَظَـاهرُ الانحِـرَافِ عَـن هَـذَا الأَصـلِ عِنـدَ أَهـلِ السُّـنَّة والجَمَاعَة».

بَل هُم - في هذَا البَابِ- **عَلَى جَادَّةِ أَهل السُّنَّةِ والجَمَـاعَةِ في :**

"لُزُوم الصَّبرِ"، و"إخـمَـادِ الفِتَنِ"، و"تَهدئةِ العَامَّةِ"، و"نُصحِ الخَاصَّةِ" .

وقَد كُنتُ جَمَعتُ نُقُولًا كَثيرَةً جِدًّا مِن كُتُـب شَـيخِ الإِسـلامِ في تَقريـرِ هَـذَا الأَصل العَظيمِ مِن **"أُصُول السُّنَّةِ"** - الَّذِي مَن خَالَفَهُ خَرَجَ عَن السُّنَّةِ، كَمَـا قَـالَ إِمَامُ السُّنَّةِ أَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ، وغَيرُهُ- في كتَابي **«مِن فِقهِ الفِتن النَّازلَـةِ»**، وقَـد طُبِـعَ في أَوَّلِ أَيَّامِ فِتنَةِ الرَّبيعِ العَربيِّ سَنَةَ (٢٠١٢م) .

فَليَرجِع إِلَيهِ مَن يَرغَبُ في الوُقُوفِ عَلَى تَقريرَاتِهِ في هَذَا البَـاب الكَبـيرِ، واللهُ وَحدَهُ الـهَـادي، والمُوَفِّقُ .